

دور مجلس العلماء الإندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة في أندونيسيا

رؤية قرآنية*

د. زمخشري بن حسب الله طيب**

الملخص

يهدف هذا البحث إلى بيان الدور الفعّال الذي يلعبه مجلس العلماء الإندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة منطلقاً من فهم معاني وملامح ومهام العلماء كما يصوّرها القرآن الكريم، مروراً بمعرفة خلفية نشأة مجلس العلماء الإندونيسي، والأدوار التي يلعبها في شتى المجالات، ثم فهم التحديات المعاصرة التي يواجهها، وبيان المهام والأدوار التي يقوم بها مجلس العلماء الإندونيسي في تقديم الحلول والعلاج لتلك التحديات. انتهى الباحث منهج التفسير الموضوعي للوصول إلى النتائج المرجوة. ومن أهم نتائج البحث: (1) القرآن يصور دوراً بارزاً يجب أن يلعب به العلماء الربانيون، الذين هم ورثة الأنبياء. (2) ومجلس العلماء الإندونيسي يُعدّ وسيلة لجمع كلمات علماء المسلمين، ويضم العلماء الربانيين، فلهم دورٌ بارزٌ في حفظ الهوية الإسلامية في إندونيسيا ومواجهة التحديات المعاصرة. (3) كثرت التحديات التي يواجهها العلماء في العصر الحاضر في مختلف جوانب الحياة، ابتداءً من الهجوم على ثوابت الإسلام ومحكماته والتشكيك في أسسه ومسلّماته، ثم افتتان كثيرٍ من المسلمين بالحضارة الكافرة المادية، وتسلب أعداء الإسلام عسكرياً، واحتلال الدول الكافرة لعدد من البلدان الإسلامية المستضعفة، ثم كثرة اختلاف المسلمين وتفرّقهم، وانتهاءً بالتغيّرات والتقلّبات الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها. (4) العلماء يلعب دوراً رائداً في التصدي ومواجهة التحديات المعاصرة، من خلال تثبيت الأمة على الإسلام وإرجاعها إلى الأصول والثوابت، والدفاع عن الإسلام وكشف شبهات المنافقين والمغرضين، فضح أعداء الإسلام وبيان درجات العداوة وحقيقتها، ثم السعي إلى توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم، ثم بث روح التفاؤل وإشعارهم بعزّ الإسلام.

الكلمات المفتاحية: مجلس العلماء الإندونيسي، دور العلماء، التحديات المعاصرة، رؤية قرآنية.

* هذه المقالة تم تقديمها في محاضرة عامة التي عقدها جامعة السلطان الشريف علي الإسلامية بروناي دار السلام في 28 ديسمبر

2016 م.

** عميد كلية الدراسات الإسلامية بجامعة دارماونسا ميدان

أ. المقدمة

وصف الله الأمة الإسلامية في القرآن بأنها أمة الوسط، حيث كتب الله لها الريادة والقيادة، حتى تشهد بين يدي ربها على العالمين أجمعين. ولكن الواقع اليوم أظهر أن الأمة قد اعترتها آفات وأدواء، مما أخرجت مسيرتها، وطرأت عليها التحوّلات في شتى النواحي من الفكرية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها. ولا شك أن هذا الأمر يستدعي المراجعة، والإصلاح الشامل، والبحث عن العلاج السريع، حتى تعود الأمة إلى مكانتها المرموقة.

ومن المعلوم، أن المخرج من تلك الأزمات هو الرجوع الصادق إلى المنهج الرباني والهدي الشرعي المتمثل في القرآن والسنة. فالسائر على المنهج الحق يسلم من الزيغ والضلال. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((تركتم فيكم أمرين، لن تضلوا بعدهما: كتاب الله وسنتي)) (أخرجه الحاكم)

وتعاليم القرآن والسنة لا يمكن فهمها بشكلٍ صحيحٍ دون التمسك بالعلوم الشرعية التي تستنبط منها. وقد كان للعلماء الشرعي أثراً بالغاً في حفظ كيان الأمة، وإعادة التمكن لها، من خلال فهمهم للعلوم الشرعية وتعليمها، حتى تمكنوا في مواجهة شتى الهجمات والتداعيات.

فهذا البحث محاولة لتجلية دور مجلس العلماء الأندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة المتمثلة في موجات الهجوم على الإسلام انطلاقاً من فهم الدور الذي يصورها القرآن للعلماء الربانيين، الذين هم ورثة الأنبياء، وحملة لواء سيد المرسلين.

ب. العلماء ومهامهم في القرآن

إن كلمة العلماء مأخوذة من مادة "العلم" الذي هو ضدّ الجهل، وهو اليقين والمعرفة¹، وإدراك الشيء بحقيقته²، أو هو الاعتقاد الحازم المطابق للواقع³. والعلماء جمع من عالم، وهو من اتصف بالعلم.

والجدير بالذكر، أن مادة (علم) ومشتقاتها وردت في القرآن في (789) موضعاً، بينما لفظ العلم ورد ذكره في القرآن في (105) مواضع. بينما كلمة العلماء، فقد ذُكرت مرتين، أولاً في سورة الشعراء الآية 197: ((أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْعَلَّمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ))، وثانياً في سورة فاطر الآية 28: ((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))

¹ الفيومي، المصباح المنير، ص 162

² الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص 580

³ الجرجاني، التعريفات، ص 155

ويمكن تلخيص السياقات التي وردت فيها ذكر مادة العلم في النقاط التالية:

(1) الأمر بالعلم والحث عليه

إن مكانة العلم في الإسلام قبل القول والعمل. لا سبيل إلى صواب القول وصلاح العمل إلا بالعلم الصحيح الذي سبقها. ولهذا يقول الله في القرآن: ((فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)) (مُحَمَّد: 19). وقد استنبط البخاري من الآية السابقة قاعدة جعلها عنواناً لباب من أبواب كتابه "باب العلم قبل القول والعمل".

وقد ورد في القرآن كثيرٌ من الآيات التي ذكر فيها الأمر بالعلم "واعلموا"، منها: ((اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا)) (الحديد: 17)، ((وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (التوبة: 36)، ((فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ)) (الأنفال: 40).

(2) رفع شأن العلماء

تبوأ العلماء مكانة رفيعة في نفوس الأمة، لأنهم ورثة الأنبياء، ولأن الله قد رفع شأن العلماء على غيرهم من الناس. وقد ورد بيان هذا الأمر في العديد من الآيات، منها: ((يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ)) (المجادلة: 11). وبين سبحانه أنه لا يستوي بين من يعلم وبين من لا يعلم: ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ)) (الزمر: 9). وبين سبحانه أن العلماء أكثر الناس خشية لله: ((إِنَّمَا يُخَشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ)) (فاطر: 28). ومما يدل على علو شأن العلماء، قرن الله شهادته وشهادة الملائكة بشهادة العلماء، كما قال تعالى: ((شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ)) (آل عمران: 18).

(3) العلم صفة الأنبياء والمرسلين

وصف القرآن بأن العلم هو صفة خاصة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم، كما أنه صفة عامة لجميع الأنبياء والمرسلين. أما الآيات التي تبين صفة العلم لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم منها: ((...وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)) (البقرة: 151). بين سبحانه أن ما جاء النبي ليلبغه إلى أمته هو العلم: ((فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...)) (آل عمران: 61). وبين سبحانه أن اتباع الوحي هو العلم، بينما ترك الوحي هو اتباع الهوى: ((...وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (البقرة: 120).

وأما الآيات التي تبين صفة العلم لعامة الأنبياء فهي كثيرة، نذكر منها:

وصف الله يوسف عليه السلام ((قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمِ)) (يوسف: 55).

وصف الله داوود وسليمان عليهما السلام ((وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...)) (العمل: 15).

ووصف الله موسى عليه السلام ((وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا...)) (القصص: 14).

(4) العلم صفة المؤمنين العارفين الراضين الذين يثبتون في الشدائد والمهن، ويبصرون الناس في الابتلاءات والفتن

وقد بين الله هذا الأمر في العديد من الآيات يكشفه كل من يتأملها، منها:

((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا)) (البقرة: 26).

((وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ...)) (الحج: 54).

((...وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ...)) (النساء: 83).

((وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (سبأ: 6).

من هنا نفهم كيف يكون العلم الشرعي يعصم أهله من الزيغ والحيرة بتوفيق من الله، فيحفظ العلماء للناس دينهم، ويردونهم إلى الحق والهدى. وهذا هو ديدن العلماء الربانيين في كل عصر ومصر.

من خلال التأمل على المهام التي أناط الشارع العلماء الربانيين عليها، يمكن تلخيص دور العلماء كما يصورها القرآن ما يلي:

أ) القيام بمهمة الدعوة والتبليغ والإرشاد، كما قال تعالى في سورة المائدة الآية 67: ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ))

ب) القيام بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قال تعالى في سورة آل عمران الآية 104: ((وَلِتُكُونَ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ))

ت) القيام بتقديم الأسوة والقدوة الحسنة للأمة، كما قال تعالى في سورة الأحزاب الآية 21: ((لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)).

ث) القيام بمهمة البيان للناس بما يتعلق بتعاليم الإسلام، كما قال تعالى في سورة النحل الآية 44: ((وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)).

ج) القيام بتقديم الحلول والعلاج للمشكلات التي يواجهها الناس، كما قال تعالى في سورة النساء الآية 105: ((إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ حَصِيمًا)).

ح) القيام بغرس التصور الصحيح للحياة القائمة على الأخلاق الكريمة.
خ) القيام بمهمة إبراز الإسلام رحمة للعالمين، كما قال تعالى في سورة الأنبياء الآية 107: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)).

تلك المهام المذكورة أعلاها لا شك أنها محمات صعبة، لا يتأهل للقيام بها كل من هب ودب، بل ليس كل من يزعم أنه عالم قادر على القيام بها. ولهذا، ينبغي للعلماء من أجل القيام بتلك المهام على أكمل وجه ما يلي:

أ) توسيع دائرة العلم والمعرفة الإسلامية. فلا ينبغي للعلماء في هذا العصر التقييد بفهم ضيق على مذهب معين، ولا يقبل تبادل وجهات النظر مع المذاهب الأخرى، ما دامت كلها ضمن المذاهب المعتمدة المقبولة لدى أهل السنة والجماعة.

ب) إكمال معرفتهم وعلمهم بتوسيع دائرة الثقافة فيما تتعلق بالعلوم الكونية، حتى يتمكن العلماء من فهم الواقع بشكل أفضل.

ت. التعريف بمجلس العلماء الإندونيسي

يعتبر مجلس العلماء الإندونيسي منظمة تضم العلماء الشرعي، والزعماء، والمتقنين المسلمين الإندونيسيين، التي تهدف إلى تحريك القيادة والمؤسسات الإسلامية بفاعلية، حتى تتمكن الأمة الإسلامية في إندونيسيا بالحفاظ على العقيدة الإسلامية، وتوجهها في عباداتها ومعاملاتها، وتنشر الأخلاق الكريمة من أجل تكوين مجتمع يسود فيه الأمن، والسلام، والعدالة، والرعاية الروحية والمادية، وتبيل رضوان الله تعالى⁴.

تأسس مجلس العلماء الإندونيسي في 17 رجب عام 1395 هـ الموافق بـ 26 يوليو 1975 م. والجدير بالذكر، أن إنشاء هذا المجلس في بدايته لم يكن على يد العلماء والمتقنين المسلمين، وإنما أنشأها الحكومة الإندونيسية. وهذا الأمر جعل بعض المسلمين ينظرون إلى هذا الأمر بنظرة يشوبها الشك والريب من أن تجعل الحكومة الإندونيسية هذا المجلس أداة لها من أجل التحكم على العلماء والمسلمين، وخاصة كان هناك صراع وعلاقة التوتر بين الحكومة في عهد سوهارتو ومصالح المسلمين تسبق تأسيس هذا المجلس، نذكر هنا أهمها:

أولاً: قبل الانتخاب الرئاسي عام 1971 م، أنشأت الحكومة حزب جولكار (GOLKAR)، وهو حزب علماني الذي يحمل شعار الوطنية الذي يقابلها الأحزاب الإسلامية التي تحمل شعار الإسلام. تمكن حزب

⁴ انظر:

Pedoman Penyelenggaraan Organisasi Majelis Ulama Indonesia, Sekretariat majelis Ulama Indonesia, Jakarta, 2001, p. 19.

جولكار من الفوز بالانتخاب الرئاسي الذي يشهد كثيراً من التزوير والخداع. وأجبرت الحكومة حينها الأحزاب الإسلامية أن لا تذكر الإسلام ونهضة الإسلام أساساً لمشروعها السياسي. وهذا الأمر زاد من التوتر في العلاقة بين الحكومة والأمة الإسلامية الإندونيسية.⁵

ثانياً: في ظل إصدار الحكومة مقترح قانون الزواج عام 1973 م الذي يشتمل بنوده العديد من السمات العلمانية، وتتعارض بعضها بتعاليم الإسلام في الزواج، أثار هذا الأمر ضجة ومعارضة من قبل الأحزاب الإسلامية في البرلمان. وبعد العديد من المعارضة والمطالبة بإصلاح ذلك المقترح، قامت الحكومة بتغيير العديد من بنود ذلك المقترح حتى يتسالم مع مطالب المسلمين.

هتان الحادثتان اللتان تسبق إنشاء مجلس العلماء الإندونيسي عام 1975 م تلعب دوراً كبيراً في إثارة الشكوك لدى العلماء والمسلمين حول مدى جدية الحكومة وراء إنشاء هذا المجلس. ولهذا السبب، في افتتاحية هذا المجلس، دعا وزير الشؤون الدينية الأندونيسية آنذاك، أ.د. معطي علي، العلماء والمسلمين إلى نبذ الفرقة، ونبذ سوء الظن والتفاهم بين العلماء والحكومة⁶. وبين فضيلته وقتئذ أن مجلس العلماء الإندونيسي يعدّ وسيلة من الوسائل المتاحة ويكون بمثابة وعاء يستقبل كل الجهود التي يقدمها أبناء الأمة الإسلامية في إندونيسيا من أجل تحقيق عزّة الإسلام والمسلمين.

ومنذ تأسيسه، قام مجلس العلماء الإندونيسي بالعديد من المهام، أهمها:

(أ) إصدار الفتوى والنصائح والمشورة الدينية للحكومة، سواء أطلبتها الحكومة أم لم تطلبها. وهذه المهمة جاءت وفق قول رسول الله ﷺ: ((الدين النصيحة! قلنا لمن: قال: لله ولرسوله وأئمة المسلمين وعامتهم))

وقد قام مجلس العلماء الأندونيسي منذ تأسيسه بإصدار العديد من الفتاوى التي بلغت عددها مئات فتوى في المسائل المختلفة، من مسائل العبادات المحضة مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج، ومن مسائل أحكام الأسرة مثل النكاح بغير المسلمين، والطلاق، والرجوع، والوصية، والخطبة، والموارث، وتوجيهات أسرية، ومن المسائل المتعلقة بالمعاملات، مثل تربية اليتيم والضعفاء، وتجارة MLM، والتأمين التكافلي، والعمالة، وغيرها من المسائل الاجتماعية الأخرى.

وقد أصدر مجلس العلماء الأندونيسي كثيراً من الكتب الدينية الإرشادية بشأن توجيه المسلمين فيما تتعلق بالمناسبات الإسلامية، كمناسبة الهجرة النبوية، ومناسبة المولد النبوي، ومناسبة الإسراء

⁵ انظر:

M. Atho Mudzhar, *Fatwa – fatwa Majelis Ulama Indonesia: Sebuah Studi tentang Pemikiran Hukum Islam di Indonesia 1975 - 1988*, Jakarta, INIS, p. 58-62.

⁶ المرجع نفسه، ص 63.

والمعراج، ومناسبة استقبال رمضان، والعيدين الفطر والأضحى، وتوجيهات بشأن كيفية ذبح ونحر الأضاحي وفق المنهج الشرعي.

علاوة على ذلك، قام مجلس العلماء الإندونيسي بتأهيل وإعداد كوادر العلماء في المستقبل بتربية طلبة العلم الشرعي وفق المنهج الصحيح، فهم رجال الإسلام في المستقبل الذين سيكونون ورثة للأنبياء، وخير خلفٍ لخير سلفٍ. وقد جرى هذا البرنامج منذ القدم في الثمانينات، وتخرج من هذا البرنامج مئات من العلماء.

ب) مساعدة ودعم البرامج التي قامت بها الحكومة فيما لا تتعارض مع القيم والمبادئ والأحكام الإسلامية وذلك من خلال نشرها وتوعية الأمة بها. وتعدّ هذه المهمة من ضمن التعاون على البرّ والتقوى الذي أمر الشارع عباده أن يقوموا به. قال الله تعالى: ((وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)) (المائدة: 2).

ت) القيام بدور الوكلاء على المسلمين في الحوار بين الأديان، والقيام بدور فعال في غرس روح التسامح بين أتباع الديانات المختلفة.

ث) القيام بدور حلقة الوصل بين العلماء والأمرء، وحلقة الوصل بين المسلمين وسياسة الحكومة.

والجدير بالذكر، على الرغم من أن النجاحات التي قام بها مجلس العلماء الإندونيسي كثيرة من أن تخصي، إلا أنه إلى اليوم نظر بعض المسلمين تجاه المجلس بنظرة سلبية تشوبها كثيرٌ من سوء الظنّ. لأنّ البعض يرون أن مجلس العلماء الإندونيسي أداة من أدوات الحكومة من أجل مراقبة المسلمين والحركات الإسلامية.

من الملحوظ إلى اليوم، أن الميزانية المالية لمجلس العلماء الإندونيسي لا تزال تعتمد على الأموال الموهوبة من قبل الحكومة. ولهذا السبب، من الصعب أن يطالب المجلس بالاستقلالية في إصدار فتاويه عند بعض الناس. فالمجلس يمكن أن يكون مستقلاً إن كان مدعوماً من قبل أموال الوقف الإسلامي ومصادر التمويل الإسلامي الأخرى.

ازدادت أهمية دور مجلس العلماء الأندونيسي في عهد ما بعد الإصلاح السياسي (Reformation) عام 1998 م، حيث دخلت أندونيسيا عصر الانفتاح، حيث تطلق حرية الإعلام، وحرية التعبير، وأشكال متنوعة من الحريات، التي كثيراً ما تفسرّ بالخطأ من قبل بعض الناس، وفهموها بعصر الحرية في كل شيء، حتى الحرية من الضوابط والحدود الشرعية التي رسمها الشارع لكل مسلم.

والجدير بالذكر، يلعب مجلس العلماء الإندونيسي دوراً فعالاً في غرس وتوثيق معاني الأخوة الإسلامية وذلك من خلال:

أ) الوقوف موقف المحايد الذي يمثل شخصية الأمة الوسط في معالجة المشكلات التي ظهرت في المجتمع، خاصة في الأوساط الإسلامية.

ب) إبداء الرؤية الإسلامية المنبثقة من نظرة القرآن والسنة تجاه كل مشكلة من المشكلات العصرية.

ت) بناء جسر التفاهم والاتحاد فيما بين المنظمات والحركات الإسلامية المختلفة لصالح الإسلام والمسلمين.

ث) وضع البرامج المشتركة فيما بين عناصر الأمة الإسلامية والتنسيق فيما بينها.

ج) إصلاح الطائفتين المسلمتين المتنازعتين، وإرشادهما إلى ما هو خير وفق المنهج الشرعي.

ح) بناء جسر التفاهم والتعاون فيما بين الأحزاب السياسية، سواء أكانت ذات الخلفية الإسلامية أو العلمانية إلى ما فيه صلاح البلاد والعباد.

خ) إبعاد ثقافة الغلو ولغة التكفير فيما بين المسلمين.

د) توجيه المسلمين بالولاء إلى الله ورسوله والإسلام العظيم، وليس الولاء للمنظمة أو الحركة أو الحزب.

ذ) الحث على المسلمين بالاهتمام بالتنمية الاقتصادية للأمة وذلك من خلال التوزيع الأمثل لأموال الوقف والزكاة واستثمارهما وفق المنهج لصحيح.

ر) تحذير المسلمين من المشاركة واتباع الحركات المنحرفة والضالة التي كثيراً ما تنسب نفسها إلى الإسلام، وذلك من خلال إصدار المواصفات للحركات المنحرفة والضالة، ونشر الوعي الصحيح بشأن تعاليم الإسلام الصافية من الانحراف والزيغ.

ز) إرشاد المسلمين إلى استهلاك السلع والبضائع الحلال وفق القواعد وضوابط الاستهلاك الإسلامية، ونشر الوعي بضرورة أولوية شراء المنتجات الإسلامية على المنتجات غير الإسلامية.

وفي مجال الحرب ومقاومة المنكرات، يلعب مجلس العلماء الإندونيسي دوراً كالتالي:

أ) الحث على العادات والتقاليد الإسلامية التي بدأ الجيل الجديد يهاهما، كصلة الرحم، حسن الظن بين المسلمين.

ب) القيام بالحملات الإعلامية والتوجيه بأن كل منكر سيخلف وراءها عواقب وخيمة في المستقبل القريب والبعيد.

ت) رفض البرامج التلفزيونية والإذاعية التي تنشر ثقافة الفحش والبذاءة في الكلام، وتحمل الثقافات المخالفة للإسلام.

ث) رفض الرشوة وسوء استغلال المناصب، ودعوة المسلمين إلى عدم انتخاب أي مرشح متورط بالجرائم والفضائح.

ج) الدعوة إلى حماية حقوق المستضعفين من الأولاد والنساء، وتوفير فرص التعليم الجيد لهم.

وبعد، يمكننا القول بأن وجود مجلس العلماء الإندونيسي ضروري للغاية، بل يمكن اعتبارها إحدى الوسائل التي لا يمكن استهانتها في الدفاع عن الإسلام وحفظ بقائها في إندونيسيا.

ث. التحديات المعاصرة التي يواجهها مجلس العلماء الأندونيسي

تقف الأمة الإسلامية اليوم في مفترق الطرق، تحيط بها المخاطر من كل جهة. في الوقت الراهن بالذات هناك العديد من التحديات التي يواجهها العلماء يمكن إجمالها كما يلي:

(1) الهجوم على ثوابت الإسلام ومحكماته، والتشكيك في أسسه ومسلّماته.

تعدّ أندونيسيا أكبر دولة إسلامية من حيث عدد السكّان، حيث بلغ نسبة المسلمين في أندونيسيا ما يزيد على 85% من المجموع الكلي للسكّان. وعلى هذا يمثل المسلمون الأغلبية العظمى من سكان إندونيسيا بجانب الكاثوليكية والبروتستانتية والهندونيسية والبوذية والكونفوشيوسية، وغيرها.

في المجتمع متعدد الأديان، في ظلّ ضعف المسلمين في الجانب الاقتصادي على الرغم من أغلبية عددهم، يشهد هذا العصر الهجوم من قبل أعداء الإسلام على ثوابت الإسلام ما لم يشهده العصور السالفة. في العهد السابق، أكثر الهجوم على الإسلام والمسلمين يأتي على شكل الهجوم العسكري، وإحداث الفتن بين المسلمين، بينما اليوم الهجوم الذي يواجهها المسلمون يستهدف إضعاف عقيدتهم، وتضييع هويتهم، وسلخهم من مبادئ الإسلام. فأعداء الإسلام فطنوا بأن سرّ قوّة المسلمين هو عقيدتهم التي لا تقبل أي مساومة لدى عامة الأمة فضلاً عن علماءها ومثقفها.

هناك أمثلة كثيرة يمكن تقديمها كنموذج لهذا النوع من الهجوم الجديد، هي:

(أ) الزعم بأن نصوص القرآن والسنة إنما هي جاءت لحلّ مشكلات مؤقتة، وانتهت صلاحيتها، فلا سبيل إلى إعمال هذا النصوص في العصر الحاضر. وقد قام بنشر هذه الأفكار في مقدمتهم شبكة الإسلام البرالي (Jaringan Islam Liberal) الذي يحاولون إفساد الإسلام من الداخل، بنشر أفكار ما بعد الحداثة (Post Modernism) حيث تتأثر هذه الشبكة كثيراً برجال المستشرقين من الغرب.

(ب) الزعم بأن نصوص القرآن يحق لكل من هبّ ودبّ أن يفسرها ويفهمها بما يمليه عليه عقله وهواه دون أي ضابط لذلك. بل زاد الأمر بلة حيث فتح بعض المسلمين الأبواب أمام الكفار وغير المسلمين الذين يعادون الإسلام لتفسير القرآن بما يوافق أهواءهم، وخاصة فيما يتعلق بمصالحهم الدنيوية، كأحقية المسلم في انتخاب الكافر ليكون رئيساً للدولة ذات الغلبة المسلمة.

ت) الزعم بأن كل دين متساوي، لا فرق بين الإسلام وبين الديانات الأخرى، ولا ينبغي عداوة أتباع الديانات الأخرى، بل الدعوة إلى تقارب الأديان وحوار الحضارات، وغير ذلك. بل وصل الأمر لدى هذا الفريق إلى أداء شعائر دينية بين أتباع الديانات المختلفة بشكل جماعي. فلا حرج للمسلم عندهم المشاركة في طقوس النصرانية داخل الكنيسة وتبادل التهاني بشأن أعياد غير المسلمين، كما يحقّ لغير المسلمين الدخول في مساجد المسلمين والتدخل في شأن عقائد وعبادات المسلمين.

ث) الزعم بأن عدم تطبيق الشريعة الإسلامية وتنحيها، وإحلال النظم الوضعية مكان حكم الله، سواء كان كلياً أو جزئياً، أمر سائع يقبل الاجتهاد وتبادل النظر. بل شوّه هذه الطائفة صورة الشريعة الإسلامية وخاصة فيما تتعلق بأحكام النساء، بأنها تهضم حقوقهنّ. وصوّروا أحكام الحدود الإسلامية بأنها أحكام بربرية، لو طُبِّقت في هذا العصر لعدّ ذلك إرجاعاً إلى العصور الحجرية.

ج) وغيرها من الدعوات التفصيلية في مختلف المجالات، كالشبهات التي تطرح حول قضايا المرأة والجنود، وقضايا الأسرة، وقضايا الاقتصاد.

والجدير بالذكر، أنّ القرآن قد حذّر المسلمين من اتباع هؤلاء الذين يشككون ويتشككون، ويريدون نشر الفتنة في الدين، وصرف الناس من المنهج القويم عن رب العالمين، وقد نبّه الله هذا الأمر في قوله سبحانه: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)) (آل عمران: 7).

في الآية السابقة، بيّن الله أنّ في القرآن آيات محكمات مسلمات قطعيات، لا يقبل الجدل ولا الخلاف، وهي تمثل أصول هذا الدين وقواعده. وقد سمّاها الله بأُمّ الكتاب. وهناك آيات أخرى متشابهات، وقضايا مسكوت عنها لحكمة أرادها الله، ورحمة بالأمة. وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ في قوله: ((إنّ الله فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها)) (أخرجه الدار قطني).

لو تأملنا مفاد الآية السابقة، لوجدنا أنّ الله أخبرنا بأنّ دعاة الزيف والضلال يتبعون هذه المتشابهات طلباً للفتنة وإثارة للشبهات وتشكيكاً لاعتقادات الناس. وقد حذّرنا النبي من الاقتراب والتعامل مع أمثال هؤلاء من دعاة الزيف والضلال حين قال: ((إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمي الله، فاحذروهم))⁷.

(2) افتتان كثير من المسلمين بالحضارة الكافرة الغير الإسلامية، سواء الغربية أو الشرقية.

⁷ ابن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج3، ص 179.

إنّ ظاهرة انسلاخ بعض المسلمين من دينه والتنكر لأحكام الشريعة الإسلامية، وانبهار كثير منهم بالتقنيات والتكنولوجيا الحديثة التي يمتلكها الغرب والشرق هي جزء من نتائج اقتتان المسلمين بالحضارة الكافرة. وهذا النوع من الفيروس (virus) التي تصيب العقول يحمل معها كثير من المفاهيم والقيم التي تصطدم بالمبادئ والقواعد والأصول الإسلامية. لو ترك هذا الأمر على حاله، لا شك أنه قد ينتج منه تمييع المفاهيم، وتذويب القيم، وضياح الهوية. وحينها يقوم أبناء الأمة أنفسهم بسبب جهلهم بالإسلام، بما قام به أعداء الإسلام نيابة عنهم.

وقد بين القرآن الكريم أنّ هناك أسباب تلعب دوراً في ظهور هذا الاتجاه:

(أ) الهزيمة النفسية والشعور بالضعف والذلة، وبالتالي السعي إلى طلب العزة والمنعة من العدو القوي. وقد ردّ القرآن الكريم على هذا السلوك الخاطئ بردّ قوي، حين قال تعالى: ((الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَلِيتُّعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا)) (النساء: 139).

(ب) ضعف الإيمان واليقين بمنهج الله القويم مما أدّى إلى التردد والتذبذب وعدم التسليم لحكم الله ورسوله. بالإضافة إلى الظنّ بأنّ العقائد والقيم والمفاهيم التي هي عند الكفرة متقاربة لما في الإسلام أو مساوية لها، فلذلك هم يرون إمكانية الجمع والتوفيق بين منهج الغرب ومنهج الإسلام، والسير على الطريقتين معاً. وقد صوّر القرآن لسان حالهم هذا حين قال سبحانه: ((فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا . أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا)) (النساء: 62-63).

(ت) التخوف من الخصم القوي، مما جعلهم يسارعون إلى الخصم، ويجاولون كسب ودّهم ورضاهم. ولا شك أنّ هذه الحالة قريبة مما صوّرها القرآن في قوله سبحانه: ((فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَادِيَةً)) (المائدة: 52).

(3) التسلط العسكري للأعداء، واحتلالهم لعدد من البلدان الإسلامية، بمجرد التهمة والشبهة، واعتزازهم

بالتفوق المادي

من المعلوم أنّ أعداء الإسلام دائماً ما تسعى إلى إذلال دول الإسلام، حتى تسير في ركبهم، وتتقدّم مطالبهم، مع تداعي قوى الكفر جميعاً للحيلولة دون توحيد صفوف المسلمين وعرقلة مشروع نهضتها. وقد صدق رسول الله ﷺ حين قال مصوراً حالة الأمة الإسلامية اليوم: ((يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها، قيل: أمن قلة نحن يا رسول الله؟ قال: إنكم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل...)) (أخرجه أبو داوود وأحمد).

هذا الوضع المؤسف له أثر كبير في انكسار كثير من نفوس المسلمين، وشعورهم بنوع من الإحباط، نظراً لهوانهم وقلة حيلتهم. ولكن سنة الله تقتضي أن تتمكن هذه الأمة من مجاوزة هذه الحالة، كما تمكن من سبقها من الجيل السابق مجاوزة مثل تلك الحالة، في بعض فترات تاريخها. شاء الله أن تعود هذه الأمة إلى عزتها، كما قال الله تعالى: ((تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ)) (القصص: 83).

وقد وعد الله بأنه سبحانه لن يترك الكفرة وأعداء الإسلام مستعلياً، فتفتح لهم الأبواب للقضاء على الإسلام والمسلمين، فقد قال تعالى: ((وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا)) (النساء: 141). ولهذا يجب على الأمة أن تفهم حق الفهم بأن مقياس انتصار المسلمين ليس هو القوة المادية والعسكرية، بل من أمعن النظر في تاريخ الحضارة الإسلامية يجد أن أكثر الغزوات والمعارك التي انتصر فيها المسلمون، كانوا فيها أقل عدداً وعدةً. فالانتصار الحقيقي هو انتصار المبادئ والقيم، لا مجرد الانتصار المادي.⁸

وقد شهد التاريخ كيف كان سحر فرعون الذين هم بمثابة اليد اليمنى لفرعون، يؤيده ويدافع عن ملكه، لما عرفوا الحق وآمنوا به، رخص في سبيل الحق كل شيء حتى أنفسهم الذين بين جنوبهم. وقفوا بكل ثبات وعزة أمام فرعون، ذلك الطاعية الجبار، الذي يزعم انه إلههم. صور القرآن مشهد تحولهم بعد معرفة الحق: ((فَأَلْقَى السِّحْرَ سُبْحًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَأَلْصَلْبَتُّكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ آيَاتُنَا شَدَّ عَذَابًا وَأَبْقَى . قَالُوا لَنْ نُؤْتِيَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا . إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)) (طه: 70-73).

وقد بين القرآن في قصة أخرى، كيف كان مصير أصحاب الأخدود، الذين آمنوا برَبِّ الغلام، ذلك الصبي الذي يضحي بنفسه وروحه، في سبيل أن يؤمن الناس برَبِّهم ويعرفوا خالقهم، فدلَّ الملك الظالم على طريقة قتله، الذي كان سببا في إيمان الناس، ومن ثم لما آمنوا أحرقوا جميعاً في أحاديث النار، وثبتوا أمام هذه الفتنة الكبيرة والابتلاء العظيم، الذي استرخصوا فيه أنفسهم في سبيل ثباتهم على دينهم. (أخرجه أبو داود والترمذي). يقول سبحانه مبيناً انتصارهم لمبادئهم على الرغم من موتهم ((وَمَا تَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)) (البروج: 8).

(4) كثرة اختلاف المسلمين وتفرقهم

⁸ سيد قطب، معالم في الطريق، ص 175.

من أهم أسباب ضعف المسلمين وذهاب قوتهم كثرة اختلافهم وتفرقهم. وقد تنبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الوضعية التي ستحل بالمسلمين منذ القدم حين قال: ((فإنه من يعيش منكم فسيروا اختلافاً كثيراً)) (رواه أبو داود والترمذي).

والجدير بالذكر، أنّ الاختلاف سنة كونية، وقد أشار الله إلى هذه الحقيقة حين قال: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ . إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ)) (هود: 118-119). ولكن يجب أن يفهم أن الاختلاف نوعان: منه ما هو سائغ ومقبول بل يؤجر عليه فاعله، وهو الاختلاف في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد واختلاف وجهات النظر، ومنه ما هو محرّم ومدموم، وهو الاختلاف الذي يقع في أصول الدين الذي يؤدي إلى تفرق صفوف الأمة وذهاب شوكتها.⁹

ولا شك أن الآيات الكثيرة التي تحدّر من الوقوع في الاختلاف إنما هي محمولة على الاختلاف المذموم لا على الاختلاف المحمود. ومن تلك الآيات ما يلي: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)) (آل عمران: 105)، و((وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ)) (الأنفال: 46).

(5) التحوّلات الفكرية والسياسية والاجتماعية وغيرها

شهد العالم اليوم العديد من التحوّلات والتقلّبات الفكرية والسياسية والاقتصادية. ولما كان المسلمون في أندونيسيا جزءاً لا يتجزأ من هذا العالم الذي توج به الأحداث، فالثورة في مواجهة الوضع القائم بشتى الصور والمجالات أمر لا مفر منه.

ظهر في أندونيسيا في الآونة الأخيرة كثير من الحركات الإسلامية المنحرفة التي بلغ عدد وفق الإحصاء الرسمي لمجلس العلماء الأندونيسي في نهاية عام 2014 م إلى أكثر من مائتين وخمسين حركة منحرفة وضالة. على الرغم من أن درجات انحرافهم وضلالهم تتفاوت من حركة وأخرى، إلا أن الكل يجمعهم أمر واحد وهو الرفض بأن تنضبط حركاتهم بأي ضابط شرعي وقيمي.

ومن المؤسف أن نقول أن مثل هذه التدايعات لا يمكن التنبؤ بما تؤول إليه الأمور. وعليه، فمن الصعب أن تعدّ الحلول المناسبة لمواجهة تحديات المستقبل المجهول. ولا شك أن الإرادة الصادقة من الحكومة في محاربة تلك الحركات المنحرفة والضالة من الأهمية بمكان.

ج. دور مجلس العلماء الأندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة

⁹ محمد السيد الطنطاوي، أدب الحوار في القرآن والسنة، ص 95-98

لما كان العلماء ورثة الأنبياء، لا يجوز للعلماء ولو لحظة أن يقفوا مكتوفي الأيدي تجاه هذا الوضع الصعب. إن نهضة الأمة لا بد أن تبدأ بنهضة علماءها. وعلى هذا، سعى مجلس العلماء الإندونيسي فهم حقيقة التحديات المستقبلية، وفهم حقيقة الوضع الراهن، لتضع فيما بعد علاجا شرعياً لكل مشكلة.

وبناء على ما سبق ذكره، يمكن تخيص دور مجلس العلماء الإندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة في إندونيسيا، كما يلي:

(1) تثبيت الأمة على الدين وإرجاعها إلى الأصول والثواب والمحكمات الشرعية

إن تثبيت الأمة على الإسلام وإرجاعها إلى تعاليم القرآن والسنة أمر ضروري، لا يقبل الجدل والنقاش، ولا ينبغي أن يختلف عليه اثنان. ولا شك أن هذا الأمر يتطلب نشر العلوم الشرعية الصحيحة لتحقيق البلاغ المبين. وهذه الأمة لا يصلح أن يقوم بها كل من هب ودب، وإنما يتطلب أن يقوم بها العلماء الربانيون المخلصون الصادقون. وهذا ما أشار إليه تعالى في قوله: ((كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ)) (البقرة: 151).

والجدير بالذكر، أن الإسلام له قواعد وأسس بني عليها، فيه ثواب ومحكمات لا تتغير مهما تغير الزمن، واليهما ترجع أحكام الدين وتفصيلاتها. قال الله تعالى: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ)) (آل عمران: 7). فهمة العلماء حفظ هذه الثواب والمحكمات من أن يقوم بتغييرها أيادي باطلة. لأن حفظ هذه الثواب، جعله الله عوامل البقاء والدوام لهذا الدين، مهما كثرت التحديات والصعوبات. ومن أهم ثوابت هذا الدين مرجعية القرآن والسنة النبوية الصحيحة، الذي يعصم من تمسك بهما من الزيغ والضلال والانحراف.

وفي ظلّ التقلبات الفكرية المعاصرة، حيث تضطرب المفاهيم، ويتلاعب المتلاعبون بالمصطلحات، وتحدث الحيرة، وتزعزع الثوابت، يذكرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرورة القيام بالأعمال الصالحة وهي الأولويات التي لا بد أن تقوم بها: حيث قال صلى الله عليه وسلم: ((بادرُوا بالأعمال فتناً كقطع من الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا)) (رواه مسلم).

فلا عاصم للناس، ولا حافظ لتوازنهم، ولا مثبت لقلوبهم، إلا التوفيق من الله تعالى ثم معرفة العلم الشرعي المتمثل بمعرفة أصول الدين ومحكمات الشريعة التي تكفل الله بحفظها. قال الله تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (الحجر: 9).

ولهذا اهتم مجلس العلماء الأندونيسي بتأهيل طلبة العلم الشرعي ليكونوا على مستوى رفيع من الفهم الصحيح للإسلام، وذلك بإنشاء معهد إعداد كوادر العلماء في كل مقاطعات الدولة، وتربيتهم وتعليمهم على أيدي العلماء الربانيين، حتى يصبحوا علماء المسلمين في المستقبل.

(2) الدفاع عن الإسلام والتصدي للهجات الموجهة للإسلام وكشف شبهات المنافقين والمغرضين

إنّ من سمات أيام الفتن تفشي الجهل بالعلوم الشرعية، وانشغال كثير من الناس عن طلب العلوم الشرعية، وكثرة إثارة الشكوك والشبهات التي قام بها أعداء الإسلام من الكفرة والمنافقين. في ظلّ تلك الظروف، تلبس الحق بالباطل عند عوام المسلمين، وتأثر كثير منهم بتلك الشبهات المثارة، ومن هنا جاء دور مجلس العلماء الإندونيسي في الدفاع عن الإسلام وتفنيده شبهات وأقاويل المبطلين وفق المنهج القرآني.

كان من عادات القرآن أنه يعقب كثيراً من شبهات الكفرة والمنافقين بالأجوبة الصريحة والحجج الدامغة. فالشبهات التي أشار إليها القرآن يكررها أعداء الإسلام في كل زمان ومكان. نجد على سبيل المثال ادعى بعض الفئة أن أحكام الشريعة لا تناسب العصر، وأن للبشر الحق في تشريع الأحكام، دون الرجوع إلى أحكام الله تعالى. جاء القرآن للتصدي لمثل تلك الشبهة، وبين أنّ الذي يملك حق التشريع هو الله وحده. كما قال تعالى: ((... أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ...)) (الأعراف: 54). فالله خالق الخلق أجمعين، وهو أعلم بحالهم وبما يصلحهم سواء كان في دينهم أو في دنياهم. قال الله تعالى: ((أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)) (الملك: 14). وقال أيضاً: ((... قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ...)) (البقرة: 140).

وهناك العديد من الآيات التي تؤكد على عالمية الرسالة المحمدية، وأنها صالحة لجميع الأزمنة والأمكنة، وصالحة لجميع الشعوب. قال الله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)) (الأنبياء: 107). وقال أيضاً: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)) (سبأ: 28). ومقتضى العالمية التي تتصف بها الرسالة المحمدية أنها تشمل كل ما يحتاج إليه البشرية في كل عصر ومصر بمختلف أصنافهم واتجاهاتهم. وأكد على هذا المعنى مجموعة من الآيات منها قوله تعالى: ((مَا فَزَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)) (الأنعام: 38). وقال أيضاً: ((وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)) (النحل: 89).

ويمكن ان يستنبط من مجموعة تلك الآيات المذكورة أعلاها أن كل ما يحتاج إليه البشر، وفيه صلاح دينهم واستقامة دنياهم، إلا كان أصل ذلك موضحاً في القرآن الكريم الذي عصمه الله من التحريف والتزييف. قال الله تعالى: ((أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا)) (النساء: 82).

(3) فضح الأعداء وبيان حقيقة العداوة ودرجاتها

الاختلاف في الرأي سنة كونية. إلا أن الاختلاف يمكن أن يكون إيجابياً، كما يمكن أن يكون سلبياً. إن الاختلاف في الرأي إذا اصطحبه إعجاب كل ذي رأي برأيه كثير ما ينتهي إلى العداوة والحصومة. وتنجلي خطورة هذا الأمر إذا انشغل المسلمون باختلافاتهم الفرعية والجزئية فيما بينهم، وينسون الأخطار الحقيقية التي شنتها أعداؤهم تجاههم.

أرشد القرآن المسلمين إلى الكشف عن زيف الأعداء وفضحهم. قال الله تعالى في شأن ذلك: ((وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْآيَاتِ لِيَتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ)) (الأنعام: 55). كثير من المسلمين اليوم لا يعرفون من هم عدوهم الحقيقي، فيعادون إخوانهم، مما يضعف من قوتهم. ولهذا يقول سبحانه مرشداً لعباده: ((وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ)) (النساء: 45).

من أمعن النظر إلى بيان الله في القرآن عن أعداء المؤمنين يجد أنهم لا يخرجون من ثلاثة أصناف:

- أ) الشيطان، كما قال تعالى: ((إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا)) (فاطر: 6).
- ب) الكفرة، كما قال سبحانه: ((إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا)) (النساء: 101).
- ت) المنافقون، كما قال عز وجل: ((هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ)) (المنافقون: 4).

تلك الأصناف الثلاثة هم أعداؤنا الحقيقي، فما سواهم فهو من العداوات الجانبية والخلافات الجزئية التي لا ينبغي أن نشغل بها كثيراً، ويجب أن نضعها وفق حجمها الحقيقي. فالمسلمون سواء كان في أندونيسيا خاصة وفي جميع البلدان الإسلامية عامة هم في أمس الحاجة إلى معرفة فقه الخلاف وترتيب العداوات. وهنا يأتي دور العلماء عامة ومجلس العلماء الإندونيسي خاصة لتنقيف الأمة بشأن هذا الأمر، حتى لا يؤدي سوء فهمه إلى تضييق شوكة الأمة أمام أعدائها الحقيقي.

(4) السعي إلى وحدة المسلمين وجمع شتاتهم

إن من أهم أسباب وحدة المسلمين وجمع شتاتهم هو الاتفاق على ثوابت وأصول يقبلها ويقرها الجميع. وهذا الأمر يتطلب غرس معاني الأخوة الإسلامية بشكل متكامل، وتوضيح من هم الأعداء المشتركة الذين يوافق الجميع على معاداتهم، فيوحدون بها صفوفهم لمواجهةهم. وقد بين سبحانه ضرورة هذا الأمر بقوله: ((وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)) (آل عمران: 103). وقال أيضاً: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)) (آل عمران: 105). وقال أيضاً: ((وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)) (الأنفال: 46).

ومن هنا، يلعب العلماء دوراً أساسياً في بيان وتوضيح المصالح التي يمكن تحقيقها من خلال وحدة المسلمين، بل في تحديد الخطوات العملية التي لا بد أن يسلكها المسلمون من أجل الوصول إلى مبتغاهم. كما أن

دور العلماء كبير في تذليل كل المصاعب والعقبات التي لا مفرّ لهم من مقاومتها ومواجهتها. علاوة إلى ذلك، من الضروري أن يدعو العلماء الأمة بالتمسك بكلمة التوحيد وبتوحيد الكلمة، وذلك من خلال تنسيق جهودهم في تحقيق المصالح الشرعية لخير دينهم وديناهم.

هناك خطوات عملية أشار إليها مجلس العلماء الأندونيسي لا بد أن يكون في اعتبارنا كمسلمين من أجل تهيئة الأمة تهيئة كاملة، وهي:

أ) نوّكّد على الغاية التي خالقنا الله من أجلها وهي عبادته مخلصاً له الدين، وتقيم شرائعه وأحكامه على الأرض، حتى يخضع جميع الخلق لله، فيكون الدين كله لله.

ب) نبحت ونحدّد نقاط الاتفاق التي تكون منطلقاً للوحدة، ومن ثم نلتزم بها. وهي بمثابة الأصول والثوابت التي يقوم عليها الإسلام. فلو أنكر أحد تلك النقاط وتخلف عنها عمداً فقد خرج من الإسلام.

ت) نفتح باب الحوار والنقاش في المسائل التي يسوغ فيها الاجتهاد واختلاف وجهات النظر من المسائل الفروعية، وذلك من أجل أن نصل إلى أصوب الطرق، وأحكم الآراء. وهذا الأمر يتطلب مراعاة اختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال.

ث) نوّجّل النظر في كثير من الخلافات الجزئية وتتغاضى عنها، ونعذر المتأوّل والجاهل وفق المنهج الشرعي.

ج) ننسق الجهود الدعوية ونطوّر أداء العاملين فيها، حتّى تصبّ جميعها في أهداف مشتركة، تساهم في بناء مستقبل الأمة، وتأخذ بيدها إلى ما فيه عزّها وسؤددها.

ح) نحدّد العدو المشترك وتتعاون بشكل جاد في سبيل مواجهته، وننقي الصفّ المسلم مما يثير العداوات والإحْن ويسعى لتفرقة كلمة المسلمين.

(5) بث روح التفاؤل بين المسلمين وأشعارهم بعزة الإسلام، وتذكيرهم بوعد الله ونصر دينه، وإعلاء

كلماته

إنّ بثّ روح التفاؤل أمرٌ ضروري في معالجة الهزيمة النفسية التي أصابها كثيرٌ من المسلمين في العصر الراهن. إن روح التفاؤل ينبعث من الاعتقاد أنه مهما طال الأمد، واشتدّ الكرب، وعظم الخطب، واسودّ الليل، فإنه لا بدّ من طلوع الفجر. فهذه هي سنة الله في الكون التي لا تتبدّل ولا تتغيّر. فلا مكان للتشاؤم في الأمة الإسلامية مهما اشتدّ الوضع. قال الله تعالى: ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِمْ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ . هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)) (الصف: 8-9).

إنّ روح التفاؤل لا بدّ أن ينغرس بعمق في نفوس المؤمنين. المؤمنون موقنون بصدق وعد الله. لقد وعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض وتمكينهم فيها. قال تعالى: ((وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا)) (النور: 55).

ووردت في السنة توضيح وتأكيد لتلك الوعود المذكورة في القرآن، بل بيّن الرسول ملامح تلك الوعود قائلاً: ((ليبلغنّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر، إلا ادخله الله هذا الدين بعزّ عزيزٍ أو بذلّ ذليلٍ، عزّاً يعزّ الله به الإسلام، وذلاً يذلّ الله به الكفر)) (رواه ابن حبان).

ووردت في رواية اخرى، أنه لما اشتكى خباب بن الأرت إلى النبي بشأن شدة الحال، وأنواع التنكيل والتعذيب التي لحقت بالمسلمين المستضعفين في مكة، وقال: يا رسول الله، ألا تدعو لنا؟ ألا تستنصر لنا؟ فكان أن ذكره النبي بحال ممن أوزي قبلنا، ثم قال: ((والله، يمتنّ الله هذا الأمر، حتّى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون)) (رواه البخاري وأبو داود).

بالنظر إلى تلك الأدوار المذكورة أعلاها وربطها بالواقع المعاش، يمكننا القول بأنّ ظهور وانتشار الوعي في الأوساط الإسلامية في أندونيسيا اليوم كان في مساره الصحيح وإن كان ذلك يجري بشكل تدريجي. وهذا الأمر يظهر جلياً بعد حادثة تجديف القرآن والعلماء التي قام بها والي جاكرتا باسوكي جاهايا بورناما، الكاثوليكي، الصيني النسب، في إحدى حملاته الانتخابية حيث قال للناس بما فيهم المسلمون: "إياكم أن تنخدعوا بالآية الأولى والخمسين من سورة المائدة، وما قاله العلماء بشأنها". تلك الحادثة فتح أعين وبصائر أغلب المسلمين الذين كانوا منخدعين من قبل بشعارات التسامح الديني الذي يهدف من ورائه تدويب شخصيات المسلمين.

ولما كانت الحكومة التي تحكم ورائها أصحاب الرأسمال الكبير الذين هم أغلبهم من التجار الصينيين النسب تحاول أن تدافع ذلك الوالي المجدف للإسلام، قام المسلمون بالتحريك من قبل العلماء بالمطالبة بمعاينة ذلك الوالي المجرم وفق القوانين الرسمية بشأن جريمة التجديف. وإلى الآن لا تزال المحاكمة على هذه الحادثة مستمرة، وقد قام المسلمون إلى الآن بثلاث مظاهرات، آخرها يشارك فيها أكثر من سبع مليون وخمس مئة متظاهراً للمطالبة بالحكم العادل والعقوبة المناسبة لذلك المجدف المجرم.

فكم من شدّة وراءها شدّة على الله، وكم من محنة يقبّنها الله إلى منحة.

ح. الخاتمة

بعد جولة علمية حول موضوع دور مجلس العلماء الإندونيسي في مواجهة التحديات المعاصرة، يمكن استخلاص النقاط التالية:

- أ) القرآن يصور دوراً بارزاً يجب أن يلعب به العلماء الربانيون، الذين هم ورثة الانبياء.
- ب) مجلس العلماء الأندونيسي وسيلة لجمع كلمات علماء المسلمين، ويضم العلماء الربانيين، فهم دور بارز في حفظ الهوية الإسلامية في أندونيسيا ومواجهة التحديات المعاصرة.
- ت) كثرت التحديات التي يواجهها العلماء في العصر الحاضر في مخالف جوانب الحياة، ابتداء من الهجوم على ثوابت الإسلام ومحكماته والتشكيك في أسسه ومسلّماته، ثم افتتان كثير من المسلمين بالحضارة الكافرة المادية، وتسلّط أعداء الإسلام عسكرياً، واحتلال الدول الكافرة لعدد من البلدان الإسلامية المستضعفة، ثم كثرة اختلاف المسلمين وتفرقهم، وانتهاءً بالتغيرات والتقلبات الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها.
- ث) العلماء يلعب دوراً رائداً في التصدي ومواجهة التحديات المعاصرة، من خلال تثبيت الأمة على الإسلام وإرجاعها إلى الأصول والثوابت، والدفاع عن الإسلام وكشف شبهات المنافقين والمغرضين، فضح أعداء الإسلام وبيان درجات العداوة وحقيقتها، ثم السعي إلى توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم، ثم بث روح التفاؤل وإشعارهم بعزّ الإسلام.